مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وبعد:

لم تعد دعوة الشهيد جميل الرحمن الأصولية مجهولة للناس فى أفغانستان وفى غير أفغانستان، فقد أصبحت الدعوة وصاحبها حقيقة من الحقائق الثابتة فى أفغانستان، بل حقيقة ناصعة من حقائق هذا الوجود، وبناء على ذلك يمكننى أن أقول: إن جماعة الدعوة إلى القرآن والسنة التى أسسها الشيخ جميل الرحمن، ويرأسها اليوم – بعد رحيل مؤسسها شهيدا – فضيلة الشيخ سميع الله أطال الله بقاءه، تقف اليوم فى طليعة الحركات والتنظيمات الإسلامية فى أفغانستان..

منذ أن أدرك أعداء الإسلام حقيقة هذه الدعوة ومراميها وأهدافها السامية، وهم يحاولون التصدى لها والوقوف فى سبيلها فى عداء سافر، وحقد أسود، وخصومة قاسية.. وضعوا فى طريقها العراقيل والعقبات، وصدوا أمامها الطرق والأبواب فى محاولة يائسة لشل الجماعة وتعطيل مسيرة الدعوة، وأثاروا حول الجماعة والدعوة وحول صاحب الدعوة كثيرا من غبار الشبهات ووجهوا إليه اتهامات وهو منها برئ.. أنزلوا به المحن.. هددوه بالحبس، والاعتقال والاغتيال، فطاردوه، وشردوه، وعطلوه، وعطلوا مدرسته التى أراد بناءها لتكون منطلقا لدعوته، وأساسا لبناء الجيل الجديد فى أفغانستان..

لا أظن كل ذلك إلا تعريضا به، وتشويها بدعوته، وإساءة إلى الأصولية، وتهديما لأعمدتها، واشهارا به وبما يدعو إليه من الأفكار الدينية، إثارة للبلبلة،

وزعزعة للثقة بالفكر الإسلامى فى دعوته، و فى دعوة من يسير على نهجه من العلماء والطلاب أصحاب العقليات النيرة بالفكر الأصولى النير الأصيل الذى يتدفق من ينابيع القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة..

إن حركة الشيخ جميل الرحمن الإصلاحية تستند فى الحقيقة وواقع الأمر إلى المبادئ الأصولية التى تنفذ إلى أعماق المجتمع الإسلامى القبلى الجبلى فى أفغانستان، وبنظرة تاريخية إلى الوراء فإننا نراها تبدأ منذ ارتفاع صرخة الإمام أحمد بن حنبل (١٥٨ - ٢٣٣ هـ ش / ١٦٣ - ٢٤٠هـ ق / ٧٨٠ - ٨٥٥م) التى طالب فيها بالعودة إلى منهج السلف، فقد صاح صارخا فى وجه البلاط العباسى يطلب النجاة للإسلام وإنقاذه عن طريق العودة السريعة إلى الأصول الإسلامية القويمة، وقد تحولت هذه الصرخة الحنبلية إلى ثورة دينية حين تولى أمرها الإمام أحمد بن تيمية (٦٤١-٧٠٦ هـ ش/ ٦٦١-٧٢٨ هـ ق/ ١٢٦٣-١٣٢٨م) الذى أعلن دعوته الإصلاحية التى ترمى إلى العودة بالإسلام إلى أصوله مستلهما أفكار الإمام أحمد بن حنبل، وذلك لتردى الزعامة الإسلامية فى العصر العباسى، ونزوعها إلى متاع الدنيا على حساب القيم الإسلامية، ومبادئها السماوية، بالإضافة إلى زحف التتار على البلاد الإسلامية.. أفغانستان وإيران والعراق وسوريا ومصر بالغزو الوحشى الدموى للتخريب والتدمير، ولمداهمة التراث الإسلامى والقضاء عليه..

و لم تتوقف الدعوة أو الثورة الإصلاحية المطالبة بالعودة إلى أصول الإسلام عند الإمامين.. ابن حنبل وابن تيمية - رحمهما الله - بل ظلت تتنامى منذ ذلك اليوم حتى الآن، وظهر على مر الأجيال أئمة ومصلحون عظام من أمثال الإمام

محمد بن إسماعيل الصنعانى اليمنى (١٠٢٧-١١٤٧هـ ش/ ١٠٥٩-١١٨٢هـ ق/ ١٦٤٩-١٧٦٩م) والإمام محمد بن عبد الوهاب النجدى (١٠٨١-١١٦٩هـ ش/ ١١١٤ - ١٢٠٥هـ ق/ ١٧٠٣-١٧٩١م)، والإمام محمد بن على الشوكانى اليمنى (١١٣٤-١٢١٢هـ ش/ ١١٧٢-١٢٥٠هـ ق/ ١٧٥٢-١٨٣٠م)، حتى ظهر فى القرن التاسع عشر الميلادى السيد جمال الدين الأفغانى (١٢١٧ - ١٢٧٥هـ ش/ ١٢٥٤ - ١٣١٤هـ ق/ ١٨٣٩ - ١٨٩٧م) فى أفغانستان، والسيد أحمد خان (١١٩٥ - ١٢٧٦هـ ش/ ١٢٣٢ - ١٣١٥هـ ق/ ١٨١٧ - ١٨٩٨م) فى الهند، والسيد عبد الرحمن الكواكبى (١٢٢٦ - ١٢٨٠هـ ش/ ١٢٦٥ - ١٣٢٠هـ ق/ ١٨٤٨ - ١٩٠٢م) فى سوريا، والمفتى عالم خان فى روسيا، والإمام الشيخ محمد عبده (١٢٢٧ - ١٢٨٣ هـ ش/ ١٢٦٦ - ١٣٢٣هـ ق/ ١٨٤٩ - ١٩٠٥م) فى مصر، وقد تأثروا بدعوة الشيخ محمد عبد الوهاب، أو ساهموا فى إحياء دعوته الإصلاحية واستمراريتها حية، وبخاصة الإمامين السيد الأفغانى ومحمد عبده اللذين أحدثا معا ثورة إسلامية إصلاحية ترتبط فى أفكارها ومبادئها واتجاهاتها بالأصولية الإسلامية، وقد أثرا بدورهما فى سلسلة طويلة من المصلحين الإسلاميين من أمثال السيد محمد رشيد رضا والشيخ محمد بن على السنوسى والشيخ محمد أحمد المهدى والشهيد حسن البنا والسيد أبو الأعلى المودودى والأستاذ الشهيد سيد قطب والشيخ الشهيد جميل الرحمن والأستاذ عبد رب الرسول سياف والمهندس كلبدين حكمتيار، وآخرين كثيرين غيرهم. فقد زرع هؤلاء جميعا - من بعيد أو قريب - بذور الدعوة الأصولية فى الأراضى الإسلامية، ومنها الأرض والبيئة الجبلية القبلية الأفغانية الراسخة التى نمت

فيها هذه الدعوة، وأثرت فى الفكر الدينى والاجتماعى كما أثرت فى الفكر السياسى والعسكرى. والشيخ الشهيد جميل الرحمن قد تلقى هذه الدعوة وتولى أمر نشرها، فأخذ يدعو إلى التجديد فى الدين وتطهيره من البدع المذمومة، وفهمها فهما صحيحا يتلاءم مع روح الدين. وقد عاش عمره كله فى الجهاد.. جهاد لمقاومة البدع، وجهاد العدو من الشيوعيين والروس، وكفاه فخرا أنه نذر عمره وحياته ووجوده لمحاربة أعداء الإسلام فى السلم والحرب..

ففى دعوة جميل الرحمن الإصلاحية هذه نجد قبسات مضيئة من مذاهب المجددين الإسلاميين بوجه عام، فيها قبسات من صرخة ابن حنبل، وثورة ابن تيمية، ودعوة ابن إسماعيل الصنعانى الإصلاحية، وصيحة ابن عبد الوهاب الثورية، ودعوة ابن الشوكانى الأصولية، ودعوة جمال الدين الأفغانى الثورية، ودعوة الكواكبى ضد الاستبداد، ودعوة محمد عبده الإصلاحية العلمية.. ذلك لأن بين دعوته ودعواتهم الإصلاحية تقاربا عظيما وشبها كبيرا من بعض الوجوه إن لم يكن من كل الوجوه.. فالمبادئ التى سار على نهجها الشيخ جميل الرحمن فى دعوته الإصلاحية الدينية هى بعينها التى سار عليها هؤلاء المصلحون الدينيون..

وقبل الإقدام على تأليف هذا الكتاب أحب أن أقول بصراحة ووضوح: إننى قد ترددت كثيرا، وخفت كذلك كثيرا من أن يأتى وقت يضعنى فيه فريق من الأفغان، ومن غير الأفغان أو حزب من الأحزاب الأفغانية "الموزاييكية" المتنافسة فى خانة تنظيم من التنظيمات أو جماعة من الجماعات أو حزب من الأحزاب الأفغانية المتنافسة لا أنتمى إليها، بل لا صلة لى بها، أو يضعنى فيه فريق آخر من الأفغان ومن غير الأفغان صاحب اتجاه معاكس للفريق المتنافس فى خانة أخرى

غير الخانة الأولى التى وضعنى فيها الفريق الأول بينما أنا أضع نفسى فى خانة الحقيقة الجديرة بالبيان، وأصنف نفسى دائما مع الحق وحده.. مع الأفغان الثائرين من أجل الحق والعقيدة والحرية، مع الرافضين للذل والهيمنة والتسلط، مع المطالبين بالحق قبل لقمة خبز، أو بلعة ماء، أو تنفس هواء.. مع الثوريين العاملين لإيقاظ الصحوة الإسلامية المبنية على الأصول الإسلامية الحقة وقيمهاالأصيلة.. ولكن التردد لم يمنعنى عن الإقدام على وضع هذا الكتاب، والتخوف لم يحرمنى من ممارسة دورى فى الكتابة عن الشيخ الشهيد جميل الرحمن الذى بذل روحه وحياته دفاعا عن المبدأ والعقيدة.. وهل هناك شئ أغلى على المسلمين من عقيدتهم؟! وأرى ذلك حقا من حقوق الأخوة والصداقة والمواطنة رغم ما كان بيننا من تفاوت فى المسلك والمنهج.. أطرقت مليا ثم انطلقت تعلو وجهى غمرة من التأمل والأمل فى إنجاز هذا العمل وفاء بحق هذا الرجل الحقيق بهذه المكرمة..

وقد حاولت قدر المستطاع إخراج هذا الكتاب وتأليفه فى حدود الإمكانيات المتاحة لى فى التزود بالمصادر والمراجع اللازمة لإخراج مثل هذا الكتاب الذى أعتبره جديدا فى مضمونه لم يسبقنى أحد من الكتاب الأفغان والعرب إلى دراسة دعوة جميل الرحمن الإصلاحية وشخصيته من الجوانب المختلفة الدينية والسياسية، وإن كان قد تناول شخصيته بعض من الشعراء الأفغان فى قصائدهم الشعرية، كما تناوله بعض من الكتاب العرب ذوى ميول دينية خاصة فى مقالاتهم وأبحاثهم الإنشائية التى لا تصل فى مجموعها إلى درجة مرجع أو مصدر من مصادر الكتابة التاريخية الموثقة رغم إجماع الجميع على أهمية دوره الذى لعبه فى حياته فى الساحتين.. ساحة الدعوة إلى الإصلاح، ثم فى ساحة

الجهاد بالقول والعمل، ومع كل ذلك فإننى قد استفدت استفادة كبيرة من كل تلك القصائد الشعرية الرائعة بالأفغانية والأردية، كما استفدت كثيرا من تلك المقالات والأبحاث الإنشائية القيمة بالعربية والأفغانية والأردية أثناء القيام بإعداد هذا الكتاب وتقديمه للقراء تحية وذكرى لعالم أفغانى عزيز النفس، عظيم الإرادة، قوى الإيمان، سليم الطوية، لم يتلف الترف وطغيان المادية كيانه وإيمانه، ولم تنخر الرفاهية والبذخ فى عظامه وهيكله، ولم تهدم التنعم صلابته الفطرية، ولم تروضه الأيادى الناعمة الخادعة، وهو يجوس خلال الديار، يناطح السماء بعزته وكرامته، ولا يعتز إلا بربه، ويصبر على المكاره والشدائد، ويتحمل المشاق وظروف التقلبات وقسوة العيش، كان ذا نخوة ووفاء، كما كان جوادا كريما، وشجاعا مقداما.. بهذه الصفات العريقة الأصيلة والمميزات الفذة دخل المعركة.. معركة الإصلاح فى السلم، ومعركة الجهاد فى الحرب..

ومن جهة أخرى كان له فى قومه وزمانه ومكانه أثر كبير – رغم شدة المعارضة – يندر أن نجد له نظيرا فى القبائل والشعوب الأخرى، وقد يصدق على دعوته الإصلاحية التى أعلنها فى وادى بيج بولاية كونر قول السيد عبد الرحمن الكواكبى عن دعوته الدينية والسياسية من أنها "كلمات حق وصيحة فى واد، إن ذهبت اليوم مع الريح فقد تذهب غدا بالأوتاد" فقد زال وتد عرش من أعرق العروش، وتلته إزالة وتد الشيوعية، ورفعت راية التوحيد فى أرض كونر ترفرف على ذراها عالية خفاقة..

فقد رأيت أنه من المفيد والخير الكثير لشبيبة الأمة الإسلامية أن أقدم لهم صورة واضحة وصفحات رائعة من جهاد هذا العالم الفاضل من رجال الدين

والحرب والسياسة فى أرض أفغانستان لإنقاذها من بدع الشيوعية، وتطهيرها من دنس القوات الروسية، إذ خاض هو وجماعته معارك دامية، وقاموا بأعمال فدائية ضد هؤلاء الأعداء، حتى استأصلوا هذه الشجرة الملعونة من جذورها فى كونر، وتمكنوا من تطهير الوادى من آلامه وأرجاسه..

وهذا الكتاب الذى قمت بتأليفه فى ظروف عمل صعبة، وأوضاع صحية قلقة، ومسئوليات عائلية ثقيلة يتألف من أربعة فصول.. فقد تحدثت فى الفصل الأول عن موطنه الذى عاش فوق أرضه واستظل بسمائه، وتنفس بهوائه. وفى الفصل الثانى تحدثت عن نشأته الأولى، وتحصيله العلمى، وعن نشأة دعوته الإصلاحية. وفى الفصل الثالث حديث عن مسار دعوته المزدوجة فى مهجره، وتأسيس جماعة الدعوة إلى القرآن والسنة وإعلان الجهاد المسلح. أما الفصل الرابع ففيه حديث ذو وجهين.. مفرح ومؤلم.. حديث عن إعلان الإمارة الإسلامية فى كونر، وما أعقب ذلك من فتنة القتال، واغتيال الشيخ الشهيد جميل الرحمن، وأصداء ذلك فى الصحافة الإسلامية، والعالمية..

إننى لا أحسب أن فى وسعى أن أقدم كتابا كاملا شاملا عن حياة الشيخ الجليل، وعن دعوته الإصلاحية فى جميع نواحى الإصلاح فى هذه الظروف والأحوال، ولكنى أسأل الله أن يهبنى عزيمة صادقة، وهمة عالية، ونية صالحة، وأن يجعل كل أعمالى خالصة لوجهه الكريم، كما أسأله جل وعلا أن يرزقنى التوفيق والسداد، وهو نعم المولى، ونعم النصير، وهو نعم المجيب لنداء هذا الفقير وصرخة دعائه:

أناديك كونر من خلف الأشواك[1]

أحن إليك بلادى فى كل حين فى الليل قبل النهار
أناديك يا وطنى بالأشواق من خلف الأشواك والأسوار
أحن إلى مكان طال إليه انتظارى اسمه مرسوم فى الأغوار
أطلب بإلحاح اختصار مسافات البعد عنك فى زمن الضياع والانتظار

❁❁❁❁

أرقب بشدة بوابات الدخول إلى كونر فى كل حين وآن
الأحلام والآمال تتفاعل وتأخذ شكلها فى ممر خبير والبولان
بين دموعى الساخنة وآمالى الضائعة بين تلك الجبال والسهول والوديان
وبين محطات الانتظار ومكامن الأشواق الملتهبة إلى تلك البلدان

❁❁❁❁

بين الدروب الصعبة وخلف الجبال الشامخة وبين ليالى الهجرة والفراق
وفى غروب الشمس عند لحظة السعادة وفى فجر النهار عند انتحار العشاق
أشتاق إليك وطنى ومسافات الشوق طاعنة فى أعماق الأعماق
إلى ذلك التراب المقدس الملتهب بالنار عند لحظة التفاف الساق بالساق

❁❁❁❁

إلى تلك القرى فى كونر الثائرة أسمى التراب ومقر الحامية فى الأسمار
أشتاق إلى أيد حانية قاسية عند اجتياز الحدود الشائكة فى الأسفار

---

(١)عنوان هذه القصيدة فى كتابى " **أفغانيات .. خواطر وإبداعات** " ص ٢٩٥: " **أناديك أفغانستان من خلف الأشواك** " فغيرته إلى ما تراه وذلك لتتلاءم القصيدة مع هذا الكتاب.

تداعب شعوري في لحظة جمال المغامرة بالنار المولعة عند مرور خط النار
أين أنت الآن و كيف أنت عند مد العشق أو جزر الفرار وقت الانتظار

❁❁❁❁

أسمع صوتك مدويا ينادين بهمس الطفولة وعزم الشباب في كون
لأنام بين ذراعيك هادئا وأحلم بالاستقرار والأمن في منازل الأفغان
وطني وا إسلاماه، خذني واجعلني بين أحضانك بالحب والحنان
أحنو إليك وطني وطن الإسلام الصافي وموطن الشجعان الأفغان

❁❁❁❁

أسمى التراب يا موطني أنت امتداد لروحي التواقة إليك وإلى حماك
أحنو إليك يا موطن الأحرار زاحفا على راحتيك أمسح الدماء عن وجنتيك
أعود إليك منتصرا بعد النجاة من الاحتضار والخلاص من الدك والدمار
أنا لست خائفا على الانتصار، والخوف من الموت قبل أن أرى بياض وجنتيك

❁❁❁❁

وطني موطن الثوار العمر يسير حثيثا نحو الاندثار دون أن ندري
نادني في غربتي، واهمس في أذني لأعيش معك على امتداد ليالي
وأرجع إليك بالأحضان والمعانقة فالظلم الأحمر في طريقه إلى الفناء
في صباح مشمس أو ليل مظلم في الشتاء، فالموقد ما زال جمرا لحرق الأعداء

❁❁❁❁

وطني أريد أن أكتب إليك على صفحات المهج والقلب الحزين
وسكون الليل الطويل يفضح أسرار وضعي وفؤادي الكئيب
أكتب إليك سطورا مدادها من الدمع والدم الساخن مزيج
ويدين ترتعشان أرسم اسمك الغالي بين ثنايا الحب والود المديد

❁❁❁❁

إنها أنشودة عذبة احترقت بنغماتها الدافئة أوتار القلب وشرايين الفؤاد
أنشودة اعتزاز وفخر ستبقى ذكرى حية تنبض في ثنايا العمر الطويل
عنك أنت يا وطني أيها الحلم القريب البعيد بين الأمل والحصار
من أجلك أنت تخطينا الصعاب والأخطار بين الحواجز والأسوار

❁❁❁❁

حتى وصلنا إلى ممرات الدخول للوصول بعد القتال على أنغام أغانينا
مكتوب علينا نحن الأفغان أن نقاتل من يقاتلنا وأن نسالم من يسالمنا
قسوة صوت الوطن وصداه المتردد بين جنباتنا للقتال يدعونا
وكبرياؤنا الوطني رغم تعرضها للهزات من أعماق الأعماق تنادينا

❁❁❁❁

فداك يا وطني، وطن البطولة النادرة لقد أصبحت عرضة لنهش الذئاب
كشروا عن أنيابهم ثم أتوك من بوابة الشمال بطوق النار الكئيب
دخلوا حماك بحيلة الدفاع عنك وزرع التآخي بين الناس والود الحبيب
فدمروك تدميرا وزرعوا فيك التقاتل والتناحر بالحقد والتخريب

❁❁❁❁

سلبوا كل فضيلة، ونهبوا كل عفاف بالمكيدة والدسائس الحمراء
قل للقمة في الكويت إني صامد في الحق صمود الأوائل من القدماء
إن النوايا والأسرار قد باتت فاضحة واضحة وضوح السماء
وا إسلاماه، وا معتصماه، الأفغان ينادونك نداء الحق لحقن الدماء

❁❁❁❁

إلى أمتي المسلمة النائمة أو المتنائمة تنادي كونر الممزقة بالحقد الأحمر
إلى قمة المسلمين في الكويت تنادي أجساد المسلمين الممزقة بالسلاح الأحمر

إلى الشعوب الحرة تنادى أرواح الشهداء فى كونر المحترقة بالنار الأحمر
إلى الله ننادى ونطلب منه العون والنصر المبين للمسيرة التى بدأت بالنور الأزهر

❁❁❁❁

إلى الأجيال رويت قصتى قبل الضياع بين النار والصليب والمطرقة
وإليك يا سر الحياة ونورها إنى هنا أريد الوصول عن طريق المعرفة
جناتك الفيحاء مأوى للشهداء، ومناظر تلك الروابى الناعسات بالمخلدة
رعاك الله يا موطنى فإنى لا أخشى من بحر الظلمات وغيم الظلم ودماء المذبحة

❁❁❁❁

والآن إلى كتاب حياة الشيخ الشهيد جميل الرحمن ودعوته وجهاده، نستقرئ صفحاته، ونستلهم إشراقاته، ونستضئ بقبس من روحه النيرة، تخليدا وإحياءا لذكراه، وهى ذكرى طيبة عطرة تدق مسمع كل مسلم مهما كان وأينما كان.. فلتكن هذه الصفحات المشرقة بقبسات من روحه تحية حب جليل، وتقدير عظيم لهذا الشيخ الجليل والمصلح العظيم الذى اتسمت حياته بالأريحية الإسلامية الجليلة، وتوهجت أفكاره بالدعوة إلى الأصولية العظيمة..

الدكتور محمد أمان خان صافى الأفغانى

جدة – حى السليمانية

يوم الاثنين

١٤١٥/٧/٢٤هـ ق – ١٣٧٣/١٠/٥هـ ش – ١٩٩٤/١٢/٢٦م